الباب السابع

نتائج التدخل الروسى

obeikandl.com

obeikandl.com

التداعيات على سوريا:

العمليات العسكرية الروسية ستؤثر حتماً على الوضع العسكري في سوريا حيث ستستفيد قوات نظام الأسد من فاعلية قتالية ومهارات عسكرية ومعنويات أرفع بتعاون القوات الروسية معها.

بإمكان القوات الروسية الكبيرة منح النظام السوري ميزة حاسمة في ميادين القتال للسيطرة على مراكز حيوية أو بسط نفوذه عليها واستنزاف مواردها وقد يتسبب الثوّار فى وقوع بعض الخسائر في صفوف الوحدات الروسية، إلا أنهم عاجزين إلى حد كبير عن إلحاق الهزيمة بالقوات الروسية في معارك حاسمة على الرغم من الآمال التي يضعها أولئك الذين يتذكرون تجربة موسكو في أفغانستان.

التداعيات على إسرائيل:

التدخل الروسي قد يقوّض إلى حد كبير العمليات الجوية الإسرائيلية فوق سوريا ولبنان وقد يمكّن إيران من تزويد نظام الأسد وحزب الله بترسانة أكثر تطوّراً وخطر الانخراط في اشتباكات مع الطيران الإسرائيلي إذا وسّعت القوات الجوية الروسية وقوات الدفاع الجوي نطاق تحركها.

التداعيات على تركيا:

قد يعزّز التدخل العسكري الروسي المتزايد لصالح النظام السوري التحالف الأمريكي التركي في سوريا بصورة أكثر وقد تضطر تركيا إلى الاصطفاف جانب سياسة الولايات المتحدة في سوريا بهدف تجنّب أي احتكاك عسكري ضد روسيا على أرض المعركة.

التداعيات على الولايات المتحدة :

تشكل خطوة روسيا تحدياً واضحاً لواشنطن،حيث تستغل ما قد تصفه موسكو بالتردد الأمريكي إزاء الانخراط في سوريا وقد يعرقل وجود القوات الروسية العمليات الجوية للتحالف الدولي – الأمريكي ومن شأن العمليات العسكرية الروسية عرقلة الخطط الأمريكية الرامية إلى دعم العمليات البرية في سوريا وقد تسبب العمليات الروسية الداعمة لقوات النظام فى شن هجوم على القوات التي تدعمها الولايات المتحدة.

تداعيات الثورة السورية على روسيا:

اتخذت السياستان الأمريكية وحلف شمال الأطلسي الناتو شكل التطويق التدريجي لروسيا في مجالها الحيوي خوفاً من روسيا المحتملة والخط الثاني من غرب آسيا يمثل الحاضنة الجيو إستراتيجية لآسيا

الوسطى حيث تقع كل من إيران وسوريا إذ يعتبرهما فلاديمير بوتين ضمان روسيا القائمة، إذ تم إغلاق المجال الحيوي الأول لروسيا في أوروبا الشرقية لانضمامها للناتو والاتحاد الأوروبي، وما تبعه من تأجيج للثورات في جورجيا وأوكرانيا، والتواجد العسكري في بعض دول آسيا الوسطى والاستقرار في المناطق القريبة من حدوده لذا فسياسة روسيا بشأن أزمة سوريا اختبار يكشف عن نمط التفكير في السياسة الخارجية الروسية التي تعتبر جزء من عملية محورها عدة عوامل ومؤثرات بما في ذلك التطورات والقيود الخارجية والداخلية فروسيا تنظر للثورة السورية من منظور جيو إستراتيجي إذ ترى في منطقة الشرق الأوسط محيطها الإقليمي،أكثر منه خدمة لمصلحتها وأمنها القومي، فموقعها الجيوسياسي موطء قدم على شواطئ المتوسط،ومنفذ لأسطولها البحري في البحر الأسود في قاعدة سيفاستوبول وفي هذا الصدد كتب مارك كاتز أستاذ العلوم السياسية بجامعة جورج ميسون بالولايات المتحدة الأمريكية، مقال بعنوان روسيا والصراع في سوريا أربع أساطير بهدف تحديد أربع أساطير للسياسة الروسية تجاه الأزمة السورية:دعم الأسد إلى ما لا نهاية -روسيا تحمل مفاتيح حل الصراع السوري -الدعم الروسي للأسد أضر بشدة بعلاقات روسيا بالشرق الأوسط - بسقوط نظام الأسد فلن تتمتع روسيا بأي نفوذ فى المنطقة العربية.

الثورة السورية ستقضي على حكم بوتين

رأى الكاتب والمؤرّخ المتخصص في الشأن التركي المعاصر قادر أوغلو، أن روسيا تسعى لإحياء روسيا القيصرية وفلاديمير بوتين متحمس ليكون قيصراً، لكن الكفاح في سوريا سيقضي على حكمه وسيكون كارثة له، مثلما قضى الكفاح في أفغانستان على الشيوعية جاء ذلك في مقابلة تلفزيونية على إحدى القنوات التركية، أثناء تقييمه للتطورات الأخيرة في العلاقات بين روسيا وتركيا بعد إسقاط الأخيرة مقاتلة روسية انتهكت مجالها الجوي عند الحدود مع سوريا وقامت روسيا إثر ذلك بفرض عقوبات اقتصادية ضدها وأشار المؤرخ التركي إلى أن روسيا كانت تسعى منذ عهد القيصر بطرس الأكبر، للوصول إلى البحر الأبيض المتوسط، إذ تُعد كالفأر المحبوس في صومعة قمح، لذلك فعليها الوصول نحو المياه الدافئة، وأنه عندما عجزت روسيا عن التحكم بالمضائق، جرّبت طرقًا أخرى للوصول إلى المتوسط، ولأجل ذلك اختارت هذه المرة محافظة اللاذقية شمال غربي سوريا.

وجدير بالذكر، أن المضائق التركية، تُمثّل المخرج الوحيد للسفن الروسية من البحر الأسود المغلق، وتمر عبرها نحو ٢٠ سفينة تجارية روسية يوميًا،وتمثل السفن التجارية الروسية ٤٠% من الحمولة المارة في المضيقين البوسفور في إسطنبول، والدردنيل في جناق قلعة،

وقد طالب الاتحاد السوفييتي السابق أكثر من مرة بتعديل معاهدة مونترو بأن تشترك دول البحر الأسود جميعًا في الإشراف على الملاحة في المضايق ويتضمن مطلب الاتحاد السوفييتي، تدويل الممرات المائية الإقليمية للدول الصغيرة، لضمان بقائها مفتوحة أمام السفن الروسية التجارية والحربية وقت السلم والحرب على حد سواء وحسب تقرير لمركز ستراتفور الاستخباراتي الأمريكي، فإن المضائق أدوات قوية في يد تركيا بإمكانها أن تستخدمها ضد روسيا،لكن أنقرة لا يمكنها بسهولة أن تغلق الأبواب مع روسيا، وتركيا هي ثاني أكبر مشتر للغاز الطبيعي الروسي، ومستورد كبير للنفط والمعادن الروسية وأكبر مشتر للقمح الروسي وزيت دوار الشمس، فالخلافات مع روسيا تجلب ألماً اقتصادياً هائلاً للأتراك وللحفاظ على إمدادات قواتها في سوريا، كانت روسيا تعتمد على ما يعرف باسم إكسبريس سوريا وهو طريق الإمدادات البحرية من سيفاستوبول على البحر الأسود إلى شرق المتوسط في ميناء طرطوس السوري،بوصفها حارس البوابة للمضيق، يمكن لتركيا من الناحية النظرية أن تجعل هذا الطريق أكثر تعقيداً، في وقت السلم، فتركيا لا تزال تدعي أنها تحترم اتفاقية مونترو وتسمح لروسيا بحرية الوصول مع زيادة عمليات التفتيش على السفن المارة مما يمثل إزعاجاً حقيقياً لروسيا ومع توتر العلاقات بين روسيا وتركيا، وفرض روسيا اجراءات اقتصادية على تركيا، توجهت أنظار العالم نحو الاجراءات التي

يمكن أن تستخدمها تركيا ضد روسيا فقال رئيس المجلس الإداري المؤسس في المجلس الدولي للجامعات، البروفيسور التركي أورهان حكمت عزيز أوغلو، إنه من حق تركيا إغلاق مضائقها على السفن الروسية، في حال دخل الطرفان في صراع، في معرض تقييمه لتوتر العلاقات بين روسيا وتركيا وفي حديثه لوكالة الأنباء التركية، الأناضول، قال أن تركيا لا تريد الاشتباك، وهناك عامل مهم يتعلق برد فعل روسيا، حيث قامت أولًا بخلق مشكلة فى أوكرانيا، والمجتمعات الغربية ردّت بشكل عنيف إلا أنها لم تفرض أية عقوبات ضدها، وهذا أدى إلى زيادة الجرأة لدى روسيا وألحقت بعدها شبه جزيرة القرم، ولم تشهد عقوبات أيضاً، وهنا عاشت نوعًا من التمرد.

وأخيراً لابد من معرفة حقيقة الموقف الأمريكي والإسرائيلي من تزايد الوجود العسكري الروسي في سوريا، وهل تم بالتفاهم معهما حتى في مراحله الجديدة؟ علما بأن الدور الروسي في سوريا من بدايته في حالة تنسيق واتفاق مع الرؤيتين الأمريكية والإسرائيلية لمستقبل سوريا، سواء مع بقاء الأسد أو مع سقوطه، أو مع أخطار إطالة الصراع في سوريا لسنوات عديدة بهدف استنزاف الجيش السوري، ومن تم خداعهم من الإيرانيين والمتشيعين العرب، فتم توريط حزب الله اللبناني في معركة لا يملك فيها إلا تقديم الخسائر البشرية المتوالية، لأنه لا يملك

معلومات، ولا يسمح له بالانتصار فيها، ولا الانسحاب منها إلا مهزوماً وذليلاً ودفع ثمن الهزيمة بنهاية مستقبله العسكري والسياسي في لبنان وليس في سوريا فقط.

والبحث في الأهداف الروسية وراء زيادة تواجدها العسكري في سوريا يجعل الحديث عن مخاوف على تركيا إما مبالغاً فيها، أو انها محقة وتحتاج إلى مزيد من التحليل والبيان عن أوجه الخطر ودرجته ولقد صدرت مواقف أمريكية وألمانية تحذر من زيادة التدخل العسكري الروسي في سوريا، بل شرعت أمريكا فى إجراء مباحثات سياسية وعسكرية بين الوزارات المعنية الروسية والأمريكية، ولقاءات وزير الخارجية الأمريكي كيري مع وزير الخارجية الروسي لافروف كانت أقل توتراً من الانطباع الذي سبقه من تصريح الرئيس الأمريكي مع عدد من الجنود الأمريكيين بتاريخ ٢٠١٥/٩/١١، قال فيه أوباما،أن روسيا تقوم بخطأ استراتيجي إذا ظنت أنها بدعم بشار يمكن أن تساعده على البقاء في السلطة، لأن وجهة النظر الأمريكية أن الحل السياسي المنشود لسوريا هو رحيل الأسد ولو بعد مدة لكن الرأي الأمريكي الأقل رفضاً لزيادة التدخل الروسي في سوريا جاء من وزير الدفاع الأمريكي بعد لقائه بوزير الدفاع الروسي الذي جرى بتاريخ ٢٠١٥/٩/١٨، إذ جاء الموقف الأمريكي مفاجئاً للذين توقعوا الرفض الأمريكي، فقد ذهب

البنتاجون إلى مطالبة الروس بتنسيق العمليات العسكرية في العراق والشام حتى لا تقع أخطاء فنية مع الطلعات الجوية لقوات التحالف الدولي الذي تتزعمه أمريكا ضد الدولة الإسلامية،أي أن أمريكا لا تعارض التواجد العسكري الروسي، ولا تحركاته العسكرية، بل تريد التنسيق معها في السيطرة على الأجواء السورية، وتنسيق العمليات العسكرية التي يقوم بها الجيش الروسي في سوريا، وهذا يتفق مع التصريحات الأمريكية القديمة التي كانت تناشد روسيا أن يكون لها دور في محاربة الإرهاب في سوريا، والمشاركة في إيجاد حل سياسي فيها، ولا بد أن الروس قد استمعوا إلى الرسائل الأمريكية وعملوا على برمجة تحركهم العسكري على أساسها أي ان الأرجح أن يكون التدخل العسكري الروسي تم بالاتفاق والتنسيق مع الأمريكان، وضمن خطة عسكرية تسعى لإجهاض كل الميليشيات العسكرية التي تسعى أمريكا إلى إضعاف قوتها العسكرية، وهي التي حالت دون تمكين أمريكا من تدريب قوات عسكرية سورية معتدلة حسب الأوصاف الأمريكية، أو التي رفضت الدخول في تنفيذ الأوامر الأمريكية الصادرة من قادتها العسكريين من خلال قوات التحالف الدولي، أو الترتيبات السياسية التي تعمل على تحضير أرضية أو بيئة سياسية وديمجرافية لتقسيم سوريا لكن القول بوجود تنسيق وتفاهم روسي وأمريكي على التدخل العسكري الروسي في سوريا لا ينفي أن تكون هناك أغراض وأهداف لروسيا غير التي

لأمريكا، قد لا توافقها أو تعارضها، ولكن لا تصل لدرجة الاصطدام بينهما،لأن أمريكا كانت ولا تزال تسعى لإطالة الصراع في سوريا، وبالتالي فإن أي تعارض لها مع الأغراض السياسية أو العسكرية الروسية في سوريا يمكن التعامل معها بنفس طويل، قد تستخدمه أمريكا لتوريط روسيا فى خسائر عسكرية وبشرية ترهق روسيا في سوريا، كما أرهقت إيران وحزب الله اللبناني من قبل فالتدخل العسكري الروسي الذي جاء بترحيب أمريكي شبيه بالتدخل العسكري الإيراني الذي جاء أيضاً بترحيب أمريكي وإن كان أكثر سرية من الحديث العلني مع الروس، بالأخص في الاجتماعات العلنية بين وزراء الدفاع الأمريكي والروسي بهدف التنسيق في الصراع السوري ولا شك أن هناك مصالح روسية خاصة دفعت بوتين إلى التدخل في سوريا، منها حماية صورته داخل روسيا، حيث أصبح معروفاً للسياسيين والشعب الروسي أن القيادة الروسية تقف وراء النظام السوري وبشار سياسياً وعسكرياً ،وأن بوتين لا يحتمل الهزيمة أمام المعارضة الروسية، وأمريكا تفتح له أبواب حروب تضعف شخصيته الوطنية، سواء في أوكرانيا أو في سوريا أو على أراضي الجمهوريات السوفييتية السابقة المحاذية لروسيا بما فيها دول الاتحاد الروسي نفسه، مما أضطر بوتين إلى العودة إلى زيادة مستوى التسلح العسكري الروسي في مواجهة أمريكا والغرب، وبالتالي فإن روسيا تدخل سوريا وهي تدافع عن نفسها وليس

لانتصار الأسد فقط، ونقطة الضعف التي أضطرت روسيا إلى التدخل هي فشل التدخل الإيراني في إنهاء الثورة السورية وتثبيت حكم بشار الأسد، بل كانت نتائج الاحتلال الإيراني المتعدد الأوجه لسوريا سبباً في زيادة خسائر بشار الأسد لمعظم أراضي سوريا، وهو ما تراهن روسيا على تغيير المعادلة فيه، بأطماع أمريكية أي أن روسيا لا تريد رؤية الاحتمال الآخر يقع وهي مكتوفة الأيدي، وهو سقوط بشار الأسد، ونهاية النفوذ الروسي في سوريا، لذلك فإنها تريد أن تدخل في معادلة الحل السياسي في سوريا، حتى إذا ما تم انهاء مصير الأسد، فأن ذلك يتم مع الاحتفاظ بالمصالح الروسية مع النظام السوري المقبل، فالمصالح الروسية دافع رئيسي للتدخل في سوريا، فبعد خمس سنوات من الوقوف إلى جانب بشار الأسد لا تحتمل روسيا رؤية الهزيمة تلحق بها وهي مكتوفة الأيدي، هذا لا يعني أن روسيا سوف تنجح في منع الهزيمة لكنها ستعمل لجعلها بأقل الخسائر الممكنة.

مواجهة مخاطر العزلة

من المؤكد أن المنطق الذي يستعمله القادة الروس لتبرير استمرار دعمهم السياسي والعسكري للنظام السوري في وجه الدول الغربية، من ضمن سياسة توازن القوى وتقاسم النفوذ على المستوى الدولي، غير مقبول بالنسبة لمعظم الدول العربية، خصوصاً التي شهدت إنتفاضات

شعبية مثل تونس وليبيا ومصر واليمن وترفض جميع الشعوب العربية التبريرات الروسية المدافعة عن النظام السوري في ظل استمرار عمليات القتل والتدمير بواسطة الأسلحة والقنابل الروسية وجاءت تصريحات الرئيس المصري الأخيرة المطالبة بإنهاء حكم الرئيس الأسد في أقرب وقت ممكن، سواء في قمة عدم الانحياز في طهران أو في اجتماع مجلس وزراء الخارجية العرب القاهرة بمنزلة ردّ عربي صارم على المواقف الروسية الداعمة لاستمرارعمليات القتل الجماعي الجارية في سوريا وتتجاهل القيادة الروسية بشكل كامل كل النداءات العربية لها للتخلّي عن النظام السوري، ويبدو أنها غير عابئة بالأضرار التي يمكن أن يتسبّب فيها موقفها المتعنّت على مستوى علاقاتها مع الشعوب العربية، وتحديدًا مع الشعب السوري، على الرغم من وجود قناعة دولية شبه كاملة أن النظام السوري ساقط لا محالة، وأن المسألة باتت مسألة وقت ولن ينفع تسويق روسيا لفكرة إندلاع حرب عربية–إيرانية على أثر سقوط نظام الأسد في تخفيف المسؤولية التي تحمّلها الشعوب والحكومات العربية لروسيا على دورها في قتل آلاف المدنيين السوريين ويمكن تشبيه الموقف الدبلوماسي الروسي بعملية السير على حبلٍ مشدود وقد يترتّب على ذلك وقوع روسيا في حالٍ من العزلة على غرار العزلة المفروضة عربيًا ودوليًا على النظام السوري فعلى موسكو أن تدرك أن ١٣ دولة أعضاء في مجلس الأمن تؤيّد اتخاذ قرار ضد نظام

الأسد تحت الفصل السابع، وكانت أبرز محاولة في هذا السياق مشروع القرار الذي جرى التصويت عليه في ٤ فبراير ٢٠١٢ حيث صوّتت روسيا والصين وحدهما ضده وإذا استمرّت موسكو في موقفها المتعنّت لتعطيل الشرعية الدولية فإن ذلك سيعرّضها لخسارة نفوذها تدريجياً في السياسة الدولية، من خلال تشكيل تحالف دولي من خارج مجلس الأمن لاتخاذ خطوات وتدابير قاسية ضد النظام السوري، بما فيها إمكان التدخّل عسكريًا كما حدث في كوسوفو ولا بدّ أن تأخذ الدبلوماسية الروسية بعين الاعتبار إجتماع ٦٠ دولة في أكثر من مؤتمر بدءًا من اجتماع تونس في ٢٤ فبراير ٢٠١٢ من أجل تقديم مساعدات إنسانية للشعب السوري، وتشديد العقوبات ضد النظام، بالإضافة إلى عدد كبير من دول العالم التي اجتمعت في مؤتمر الدوحة في نوفمبر ٢٠١٢ من أجل دعم الائتلاف الذي تشكّل من المعارضة السورية بقيادة أحمد معاذ الخطيب وتأييده ومن الملاحظ أن روسيا والصين قد قاطعتا هذا المؤتمر، حيث اعتبرت موسكو أن هذا يتعارض مع رؤيتها لحل الأزمة لكن يبدو أن لافروف قد غيّر موقفه تجاه الائتلاف السوري بعد اجتماعه بأحمد معاذ الخطيب على هامش مؤتمر في ميونيخ، حيث دعاه لزيارة موسكو لإجراء مباحثات حول الأزمة في مطلع شهر مارس ٢٠١٣، لكن الزيارة إلى موسكو تأجّلت لأسباب سياسية وبقرار من الائتلاف المعارض وتدرك موسكو أن جامعة الدول العربية، ومجلس التعاون

الخليجي، وأيضًا تركيا، قد فرضت جميعها حصارًا على النظام، ويمكن لهذه الدول أن تلجأ إلى فرض عزلة على روسيا إذا استمرّ الموقف الروسي في دعمه للمحور الإيراني–السوري، وفي تقديم كل أنواع الأسلحة والذخائر للنظام ويبدو أن الإصرار الروسي على الدعم مرشّح للإستمرار، مما سيؤدّي إلى خسارة موسكو علاقاتها الجيّدة مع جميع الدول العربية وتركيا، بحيث لا يبقى لها صديق في المنطقة سوى طهران.

جرى مؤخّرًا إجتماع بين الجامعة العربية وغياب وزيري خارجية السعودية وقطر، مع وزير الخارجية الروسي لافروف، في إطار المنتدى الروسي–العربي الذي تشكّل عام ٢٠٠٩ ولم يجتمع مرة واحدة بعد ذلك بسبب أحداث الربيع العربي وعبّر ولافروف في نهاية الاجتماع عن تفاؤله بإمكان بدء حوار بين النظام السوري والمعارضة ووعدت موسكو بتهيئة أرضية ملائمة للحوار بين المعارضة وممثّلين عن النظام في موسكو ويؤكّد موعد انعقاد المنتدى والأجواء التي سادته على وجود رغبة لدى موسكو في إظهار موقفٍ مرن تجاه المعارضة السورية، محاولةً بذلك استغلال المبادرة التي أطلقها رئيس الائتلاف السوري أحمد معاذ الخطيب، التي قال فيها أنه على استعداد للقاء أطراف من النظام للبحث عن تسوية سلمية للأزمة من خلال تشكيل حكومة إنتقالية

تملك كل الصلاحيات لنقل البلاد من حال الحرب إلى السلم ويبدو أن العقدة هى رفض الأسد تسليم صلاحياته لنائبه كشرطٍ أساس لبدء الحوار وكان لافروف قد اعتبر أن الرهان على حل عسكري يشكّل وسيلة لتدمير الطرفين، مضيفًا آن الأوان لوقف هذا النزاع المستمرّ .

obeikandl.com